الباب الثامن

القوى المتصارعة والتدخل الروسى

obeikandl.com

obeikandl.com

رؤية للثورة السورية والثورات العربية من داخل موسكو !

فى محاولة للاختصار مع الحفاظ على دقة المعلومات نستعرض الإستراتيجية الإعلامية للمعارضة السورية في التعامل مع روسيا المعارضة السورية لديها إستراتيجية إعلامية لكنها وقعت فريسة سهلة أمام الإعلام الروسي لتعزيز وتأييد الدعاية للحكومة الروسية أمام مجتمعهم، وقد مرت بمراحل عدة دون أي محاولة لانتقاد أحد من شخصيات المعارضة السورية، وقد ظل الإعلام الروسي مؤيد للنظام في تونس ونجد أثناء الثورة التونسية تسود كلمة أعمال شغب بدلا من احتجاجات شعبية أو ثورة وبعد انتصار الثورة التونسية بدأ الحديث لدى الصحافة الروسية، ووجدنا تغيير واضح في الإعلام الروسي : وهذه الروابط لها دلاءل نجد بدل من أعمال شغب استبدلت باحتجاجات شعبية ومع اندلاع الثورة المصرية نلاحظ ان الاعلام الروسي أيضاً وصف المتظاهرين بالمشاغبين لكن في الأوساط الروسية والمحللين السياسيين نلاحظ الفرحة للخلاص من رجل يطلقون عليه عميلاً للولايات المتحدة وضد مصالحهم وكانت تحليلاتهم موجهة للداخل الروسي لها أهداف كثيرة، خاصة الداخلية، ومع اندلاع الثورة الليبية نجد ان روسيا بدأت بسياسة جديدة، خاصة بعد ان قام حلف الناتو بتنفيذ الحظر الجوي،

وتدمير الآلة العسكرية روسية الصنع للقذافي وقد وصف ذلك رئيس الوزراء فلاديمير بوتين آنذاك بأشبه بالحرب الصليبية على ليبيا، وعند اندلاع الثورة السورية كانت كما يقال كفة الميزان راجحة أن الروس سيقومون بتأييد النظام السوري وكانت وسائل الاعلام الروسية بشقيها الرسمي ،والغير رسمي تنشر الشائعات الأكثر تداولاً بين الناس تشن هجوماً عنيفا على الغرب والولايات المتحدة الأمريكية بالتحديد من خلال وسائل الاعلام، وبسرعة هائلة بدأت تنتشر في الأوساط السياسية الروسية والشعبية، أن الولايات المتحدة الامريكية تريد احتلال سوريا كما حدث فى افغانستان والعراق وليبيا وان روسيا سوف تدافع عن الاسد ولن تتأخر كما فعلت ذلك في ليبيا وظهرت الكثير من الشائعات أيضاً بين الناس أن الرئيس ميدفيدف يتحمل شخصياً خطأ، السماح للناتو بضرب القذافي وإعطائهم الشرعية الدولية.

الإعلام الروسي والثورة السورية

مع اندلاع الثورة السورية كان الاعلام الروسي قد اتبع سياسة مختلفة عما كان في الثورات العربية الأخرى، كان التجاهل واضحاً للأحداث، ولا يتم نقل ما يحدث في سوريا إلا بعد مرور فترة .

لكن لتوضيح لماذا يتبنى الإعلام الروسي وجهة نظر بشار ويشوه حقائق الثورة يمكن فهم الموقف الروسي من كلمة قالها رئيس روسيا السابق ميدفيدف بعد الثورة التونسية وفي قمة الدول الصناعية الكبرى فى تعليق له على الأحداث، يجب أن نتعلم أن ما حدث في تونس يمكن أن يحدث في أي دولة أخرى فى العالم؟.

ولا نستغرب الموقف الروسي من الربيع العربي، رغم انهيار الاتحاد السوفيتي لكن بقيت هذه الدول خاضعة للنفوذ الروسي وما حدث في تلك الدول كانت موسكو قد اعتبرته اعتداء على مصالحها وبداية خطر محدق بها بعد محاصرتها لتبدأ الخطوة التالية وهي مشروع تقسيم روسيا .

ومن هنا نجد استنفار الاعلام الروسي قد بدأ، خاصة للمراقبين الصحفيين والسياسيين ويلاحظ هذا فبعد أن كانت برامج الاعلام الروسي ضد الاتحاد السوفيتي وزعمائه، بدأ الاعلام الروسي في ٢٠٠٦ يعيد المجد لستالين وزعماء آخرين من زعماء الاتحاد السوفيتي، ومن جهة أخرى على الساحة السياسة الداخلية، قام بوتين بتصفية كاملة لخصومه، لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع الداخلي في روسيا، ونلاحظ ايضا ازمة الدرع الصاروخي في نهاية حقبة الرئيس الامريكي جورج بوش بدأ يظهر مصطلح الحرب الباردة الثانية، وقد

علقت على ذلك وزيرة الخارجية الامريكية رايس بانه هراء ولكن الاعلام الروسي كان قد بدأ استراتيجية جديدة، باعادة الترتيب الداخلي، وبناء ثقافة معادية للولايات المتحدة، بثوراتها الملونة كما يقال، ولا بد من ملاحظة ذلك الخوف لديهم من محاولات تقسيم روسيا وبالتالي يمكن فهم أن الروس يشعرون بالخطر لذا هم يرسمون سياسات دفاعية، ومن الخطأ فهم أن الروس يؤيدون النظام في سوريا حبا له أو حليفاً لهم لكن بقاء هذا النظام أو وجود نظام مؤيد لهم بالنسبة ولسياساتهم هو خط دفاع أولي واستراتيجي، في الدفاع عن مصالحهم الوطنية، يجب أن لا يسقط لكي لا يقترب الخطر عليهم وفي خطوط دفاع أخرى لهم، وإذا سألنا لماذا سوريا بالتحديد يمكن الاجابة أن الروس يعتبرون سوريا رغم صغرها يمكن لروسيا الحصول على موطئ قدم في الشرق الأوسط عبر سوريا من هنا نلاحظ أن تفكير الروس هو أن سوريا مفتاح الدخول إلى البلدان العربية التي تستطيع الترويج لأفكارها وسياساتها وبغض النظر عن تصريحات المسؤولين الروس العلنية أن مصالح روسيا ليست مصالح اقتصادية نؤكد أن كلامهم صحيح من هذه الناحية.

كان الرئيس الروسي قد عين مبعوثا خاصا له ميخائيل مارجيلوف في قضايا الشرق الأوسط، أي أن الروس لم يكونوا قد حسموا أمرهم فقد كانوا في موقف الوسط وأمام خيارين حسب تطور الأمور التي تحدد لهم

الخيار الاستراتيجي المناسب الأول يتمثل فى وزارة الخارجية التي تحتفظ بعلاقات جيدة مع النظام، ومؤسسة الرئاسة التي تبني علاقات جديدة مع شخصيات المعارضة السورية ،وقد زارت وفود المعارضة السورية موسكو وكان من المفترض أن يقوم الوفد المعارض بقطع الزيارة إلى موسكو آنذاك، كرسالة احتجاج على تصريحات الرئيس الروسي آنذاك بوجود ارهابيين بين المحتجين، لأن من طبيعة الروس حب المناورات ويستخدمونها في معرفة طبيعة الشخص الذي يتعاملون معه، فما كان قدوم الوفد المعارض إلى موسكو إلا مؤشراً لهم، أن القادمون ليسوا رجال سياسة وطنيين إنما عملاء للغرب يبحثون عن مصالح خاصة، وذلك حسب مفاهيم الروس وتقديراتهم، وهنا أضاعت المعارضة السورية الممثلة بالمجلس الوطني فرصة سانحة لاثبات هويتها الوطنية فى نظر الروس .

وهنا نلاحظ أن الموقف الروسي كان قد بدأ يتبلور، وبدأ يتجه الحسم لدى الروس في أمورهم الاستراتيجية إلى كفة تأييد النظام وتبني دعايته عن المؤامرة فالمعارض الداخلى فى روسيا يعتبر عميل للغرب وظل الاعلام الروسي الذي يبث باللغة الروسية يتجاهل المعارضة السورية لفترة طويلة، وعندما بدأ يتصل بالمعارضة السورية ليستخدمها بما يناسب برامجه، ولاثبات صحة مايقوله للجمهور الروسي وبما أن

المعارضة السورية تفتقد لخبرة في السياسة وفهم آلية الاعلام والعمل الصحفي المستقل ودوره في نقل المعلومة، فقد كانت تعتمد على ما يمكن أن يقال عنها بطولات فردية وليس التخطيط الاستراتيجي، لذا وقعت في مصيدة الاعلام الروسي لتحقيق أهدافه .

لذا فالاعلام الروسي عند ذكر الثورة السورية باللغة العربية،يأخذ طابعاً يختلف كثيراً عن الاعلام الروسي باللغة الروسية ،وهذا الاعلام موجه إلى الجمهور العربي، رغم أن له دور لا يخالف دوره عن الاعلام الروسي الموجه للداخل، ونجد أنه مزج بين الثقافة الروسية والعربية للحصول على أهداف مرسومة له .

ورغم ضخامة الاعلام الروسي فشل في بناء جمهور له، في المنطقة العربية، والجمهور الذي يتابعه فقط بقايا ومخلفات ما سمي بحركات التحرر العربية عندما كان الاتحاد السوفيتي وكانت الشعوب العربية تحت تاثير هذه التجربة كان حقق الاعلام السوفيتي نجاحات باهرة في كسب التأييد العالمي، أما الآن لا يستطيع تحقيق نفس المكاسب السابقة له لأسباب عدة:

١-في الماضي كانت الشعوب قد ذاقت مرارة الاحتلال أما في وقتنا الحاضر فقد ذاقت شعوبنا وبشكل مضاعف مرارة تلك الأنظمة

الديكتاتورية، وآلية تفكير الروس لا يعترفون بواقع الأمر إنما يفكرون فى صنعه وحسب رغباتهم، مع ذلك لا يمكن تجاهل المناورات التي يعتمد عليها الاعلام الروسي دائماً لزرع مسلمات مفيده لهم مستقبلاً، تستخدمها قوى عربية في تصديق رواياتها لذا يجب الانتباه فبرصد تناقل المعلومات نجد أن الشائعات التي تبثها قناة روسيا اليوملها صدى في بعض الأوساط العربية

الضربات الروسية والموقف الدولي المتباين

فعلا بدأت المقاتلات الروسية غاراتها على عدد من المحافظات السورية تحت مسمى مكافحة الإرهاب ومحاربة تنظيم الدولة لكن الواقع أن تلك الضربات لم تكن تستهدف تنظيم الدولة إطلاقاً بل كانت مؤازرة سريعة لنظام الأسد الخاسر للمعركة بجميع المقاييس.

موقف الفصائل المقاتلة

اعلنت الفصائل المقاتلة أن النظام السوري نظام فاشي متآكل وفاقد الشرعية لا يمكن أن يمنحها لروسيا عبر السماح لها بالتدخل العسكري في سوريا وأن التدخل الروسي دليل واضح على تدهور النظام و فشله بمقارعة الثوار ودعت أبناء سوريا بالداخل والمهجر لضرورة الدفاع

obeikandl.com

عن الوطن لأن الحرب لم تعد على ثورة فحسب بل تحولت إلى احتلال روسي يجب دفعه بشتى الوسائل والإمكانيات المتاحة .

موقف المعارضة الخارجية

في حين أعربت الدول المعروفة باسم أصدقاء الشعب السوري عن قلقها من الضربات الروسية وأكدت أن هذه الضربات سوف تأجج الوضع العسكري وتدفع نحو مزيد من التطرف لأنها تستهدف المدنيين دعت روسيا الاتحادية إلى ضرورة إيقاف تصعيدها العسكري في سوريا، ووجد الائتلاف الوطني المعارض أن التدخل الروسي يساعد نظام الأسد على طمس معالم الحضارة والثقافة في سوريا ودعا إلى إقامة منطقة عازلة لحماية المدنيين.

الموقف الدولي

أكد وزير الدفاع البريطاني مايكل فالون لصحيفةالشمس البريطانية أن الاستخبارات البريطانية لاحظت أن ٥% من الضربات الروسية استهدفت مقاتلي تنظيم الدولة، في حين أن معظم الغارات قتلت مدنيين واستهدفت المعارضة المعتدلة لنظام بشار الأسد، عكس ما ذكرته التقارير الروسية أنها استهدفت مواقع تنظيم الدولة فقط.

كما أعلن البيت الأبيض عن قلقه من التدخل الروسي ونظر له على أنه سيزيد الوضع سوءاً نظراً لعدم وجود تنسيق بين الدولتين بما يخص حيثيات التدخل العسكري في سوريا، وتوقع ناشطون أن التدخل الروسي تم بالاتفاق بين موسكو وواشنطن نظراً لأن أمريكا لم تساند نداءاتها بوقف التدخل الروسي بأي عمل جاد أو بأي دعم عسكري للمعارضة المعتدلة وبالتالي لم تجسد موقفها الذي يتمثل فى التنديد فقط مثل كل مرة، في حين صرح آخرون أن أمريكا تكمن رغبتها بالتدخل الروسي على أمل مساعدة الروس لها بالحرب ضد تنظيم الدولة، وعن العرب انقسمت الدول العربية بين مؤيدة ورافضة بما يخدم مصالحها سواءً فى المنطقة أو على الصعيد الخارجي مع روسيا .

زيادة الدعم الروسي والغاية منه (مرحلة الثورة):

مع تطور الأحداث المتسارعة في سوريا لم تكتفي روسيا بهذا الموقف بل شاركت في دعم بشار بشتى الطرق وتركز دعمها الأكبر على الأسلحة الحديثة المتطورة والمقاتلات الجوية بالإضافة لتجهيز كوادر مسلحة في الجيش السوري، وبعد التآكل الذي تعرض له النظام السوري في الفترة الأخيرة خاصة بعد خروج مطار أبو الضهور العسكري من قبضته، شعرت روسيا أن قاعدتها في طرطوس التي مازالت تحت سيطرة النظام باتت مهددة بالخطر علماً أن القاعدة البحرية لروسيا في

طرطوس هي النافذة الوحيدة لها على البحر المتوسط،بالإضافة إلى أن أعداد الثوار وقوتهم بدأت تتزايد بشكل ملحوظ الأمر الذي يشكل خطراً كبيراً على كيانها ومصالحها في سوريا ،وقد صرح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بأن بلاده ستستهدف الإرهابيين في سوريا قبل أن يصلوا إلى القاعدة العسكرية في طرطوس مؤكداً أن السبيل الوحيد لمجابهة الإرهاب في سوريا هو العمل الاستباقي،كما تطمح روسيا لتدعيم اقتصادها الذي شهد تراجعاً كبيراً في الآونة الأخيرة عبر بسط سيطرتها على ثروات الدول التي تشارك بالحرب فيها.

الدعم الروسي الحالي والموقف التركي:

وبعد تمهيد دام قرابة ثلاث سنوات أرسلت خلالها روسيا عدداً من السفن البحرية الحاملة للجنود والمقاتلات الأرضية والجوية للأراضي السورية قدر محللون عسكريون أعداد الجنود المتمركزين في مطار حميميم العسكري بما يقارب الألف جندي، دخلوا بكامل عتادهم عبر مضيق البوسفور فى تركيا ولم تأبه روسيا لموقف تركيا من مرور تلك السفن عبر حدودها وساعدها على ذلك معاهدة مسيفر التي أبرمتها تركيا في ١٠ أغسطس ١٩٢٣ عقب هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى حيث تم التخطيط لإنشاء منطقة المضائق وتشمل البوسفور والدردنيل.

شكوك روسية

في تطوّرٍ مفاجىء في الموقف الروسي من الأزمة التي تشهدها سوريا، قرّرت القيادة الروسية إرسال طائرتين إلى مطار بيروت لإخلاء سبعة وسبعين شخصًا من الرعايا الروس المقيمين في دمشق وقد أظهرت هذه العملية وفق تحليل بعض المصادر الغربية، أقوى مؤشّر على وجود تحضيرات تقوم بها موسكو لمواجهة إحتمالات سقوط نظام بشار الأسد،على الرغم من الإصرار الروسي على أن هذه العملية لا تشكّل نقطة بداية لعملية كبرى لإجلاء آلاف الرعايا الروس الذين يعيشون في سوريا واعتبر متحدّث باسم وزارة الطوارئ الروسية التي نظّمت عملية الإخلاء من بيروت إلى موسكو، أنه لا خطط إضافية لإخلاء المزيد من المواطنين الروس، وأن خطة الإخلاء هذه لا تشكّل تبدّلاً في السياسة الروسية تجاه سوريا لكن لم يُخفِ هذا المتحدّث أن الأمر إلى هذه الوزارة قد صدر عن القيادة العليا في روسيا، التي تركت أمر القرار بمغادرة سوريا للمواطنين الروس أنفسهم واعترف المتحدّث أن هذه الرحلة قد لا تكون الوحيدة، ويمكن إخلاء المزيد من الرعايا بناءً على طلبهم من القنصلية الروسية في دمشق وكانت وزارة الخارجية الروسية قد أعلنت سابقًا أن هناك خططًا موضوعة لتنفيذ عملية إخلاء واسعة إذا دعت التطوّرات الأمنية لذلك، مع مشاركة واسعة من قبل

البحرية الروسية عبر القاعدة البحرية في طرطوس لكن عملية الإخلاء الجوي عادت وتكرّرت مرّة ثانية عبر مطار دمشق وجاءت خطوة إجلاء الرعايا عبر مطار بيروت في وقتٍ أجرت فيه سفن من البحرية الروسية من بحر الشمال والبحر الأسود مناورات قبالة الشاطئ السوري،في خطوة اعتبرها البعض عرض للقوة، ولاستمرار دعم روسيا لنظام الأسد، بينما رآها آخرون خطوة طبيعية من أجل طمأنة المواطنين الروس الموجودين في سوريا وتأتي هذه التطوّرات المفاجئة بعد إغلاق القنصلية الروسية في حلب بعد القصف الذي استهدف جامعتها في ١٥ يناير ٢٠١٣، وعقب تصريح أدلى به نائب وزير الخارجية في فبراير ٢٠١٣ قال لا يمكن استبعاد إنتصار معارضة سوريا لكن على الرغم من الحدث المفاجئ لعمليتي الإخلاء فإن الموقف الروسي يبقى داعمًا للنظام السوري وعلى الرغم من كل هذه المؤشّرات التي تدلّ على مدى إدراك موسكو لخطورة الوضع الذي يواجهه نظام الأسد في سوريا، خصوصًا بعد وصول طلائع المواجهات العسكرية إلى بعض أحياء دمشق، تصرّ القيادة الروسية على الظهور بأنها ما زالت تمسك مفاتيح حل الأزمة السورية،على الرغم من الفشل الذريع في المباحثات التي أجراها وزير الخارجية الروسية سيرجي لافروف مع الموفد الدولي والعربي الأخضر الابراهيمي في موسكو .

موقف الشعب الروسي من التدخل العسكري في سوريا

يهيمن على برامج التلفزيون المملوك للدولة في روسيا الحديث عن الصراع في سوريا من خلال رسالة تؤكد عليها تلك الفضائيات مفادها أن سياسة دول الغرب في التعامل مع الأزمة في سوريا فشلت، بينما هب الرئيس فلاديمير بوتين لإنقاذ الموقف ويتلقى أغلب الروس الأخبار عبر التلفاز، مما أدى إلى ترسيخ رسالة الرئيس بوتين في أذهان الكثيرين.

مركز ليفادا الروسى المستقل أجرى استطلاع رأي في موسكو كشف أن ٧٢ في المئة من الروس يؤيدون الضربات الجوية في سوريا ويُعد ذلك تحولاً كبيراً في اتجاه الرأي العام الروسي مقارنة بنتيجة آخر استطلاع رأي أُجري بهذا الشأن قبل إطلاق الحملات العسكرية والإعلامية الداعمة لهذه الضربات الجوية عندما عارضتها الأغلبية وبالطبع تعتبر نتائج استطلاع الرأي الأخير مطمئنة للرئيس بوتين، الذي يستغل الحملة العسكرية في سوريا للظهور في صورة الرجل القوي بالإضافة إلى التأكيد على وجود روسيا على خريطة القوى الدولية.